حديث الشهر

تجديد التقليد

في مصر اليوم جماعة من حاملي الاقلام بلغ بها حب التجديد الى حد أنها رأت التقليد الذي يرسف في اغلاله كتاب العربية وشعراءها قد بلي وقدم وانه في حاجة ماسة الى التجديد فراحت تسود اوراق الصحف والمجلات بالنهي عن تقليد العرب واسلوب العرب وتفكير العرب وكل ما هو من العرب باختصار... لا لتضع في محله شيئاً جديداً مبتكراً ولكن لتحاكي الغرب وأسلوب الغرب وتفكير الغرب وكل ما جاء عن الغرب...! وان لم تشعر بذلك ، أليس هذا تجديداً... للتقليد ؟ أو ليست هي جماعة المجددين...؟ وعدم فهمكم لها جعلكم ترمونها بعدم القدرة على التفكير بالعربية وأساليبها الضادية ، وكيف تكون غير قادرة على هذا وهي التي تعلمت في أوربا وقضت شهوراً وأعواماً في (حي مونبارناس) وبالحي (اللاتيني)... وهلم جرا . لا . ليس هذا عجزاً يتظاهر بالقدرة وجهلا يتستر بالتحذلق ، كما زعم الزيات ، بل سيل التجديد طغى حتى على التقليد واراد تجديده .

***

أتدري ماذا تنكر هذه الجماعة على العربية ؟

تنكر عليها أنها خالية من القصة والرواية ومن (التراجديا والكوميديا والميتولوجيا) وأن أدبها ليس منقسما مثل الادب الغربي الى (كلاسيكي ورومانتيكي) وان شعرها ليس منقسما الى (أبيك وليريك) وان جن شعراءها لم يتأله ولم يتخذ (أبولو) ، ذلك الاسم العالمي اسماً له ، وان التاريخ العربي الاسلامي ليس منقسما كالتاريخ الغربي الى (العاديات والقرون الوسطى وعصر النهضة والعصر الحديث والعصر الحاضر) .

وصفوة القول ان ذنب العربية هو عدم مجيئها على النمط الغربي وقد تكون جديرة بأن تقلدها جماعة المجددين المصريين لو أنها احتوت على مثل تلك الاقسام ، وأخشى ، مع هذا ، ان لو كان مثل ذلك للعربية دون الغرب لا لفته قديماً بالياً ويكون مع ذلك الحق معها ، لانها ليست جماعة المبتكرين بل جماعة المجددين وكل ما يهمها هو التجديد لا الابتكار . ولو كان يهمها هذا لاخرجت لنا ، عوض هذا التقليد المشوه والصخب الفارغ والكلام الاجوف ، انتاجاً فكرياً صحيحاً ، ولست انكر أنها جاءتنا (بمعجزات) فنية جديدة كل ما فيها غربي الا بعض الفاظ وحروف عربية.

***

خذ مثلا لهذا الصخب الطنان الاجوف مقالا نشرته (الرسالة) أخيراً بقلم شخص يريد أن يصير كوكباً من كواكب تجديد التقليد وهي رسالة مفتوحة الى الدكتور طه حسين « الذي غير بعصاه السحرية (ولو قال بنظارتيه السحريتين لجدد هذا التركيب الفرنسي) مجرى وأسلوب التركيب في مصر الذي كان قاصراً على المحاكاة والتقليد ، محاكاة وتقليد التفكير العربي (رفع الالتباس صاحب مقال (الرسالة) فشكراً له على صراحته) وبفضله ـ أي طه حسين ـ وعوا وأحسوا بوجودهم . وأول مظاهر وعيهم شخصية الاسلوب (؟) واستقلال طريقة التعبير (؟) وما يتبعها من الفاظ وأخيلة ، وانهم لم يبقوا راسفين في اغلال التقليد مثل ناصف والمويلحي في كتاباتهما وانهم بهذه

الطريقة سيخلقون ادباً مصرياً قومياً كما كان لمصر القديمة أدبها وفكرها (؟) »

هذا رأي الكاتب . أما رأيي أنا فهو أن مصر لولا تلقحها بعناصر أجنبية لما كان لها أدب أو فكر ، والتاريخ بالباب وهو أصدق مرشد وأعظم برهان ، فلولا الاغريق لما كانت مدرسة الاسكندرية الفلسفية ، ولولا العرب لما كان لمصر أدب أو فكر حديث يذكر ولا ذكرت مصر في تاريخ العالم الا بفنها وهندستها الدينية ، والحقيقة أن تلك الجماعة انما تريد ابدال المقلد ، ابدال العرب بالغرب ، وقد بلغ تطرف صاحب مقال (الرسالة) الى حد أنه رمى الكاتب الوحيد الذي ابكتر جديداً في العربية ولم يحاك احداً بالتقليد . وكتاب المويلحي « حديث عيسى بن هشام » لا يزال قريب العهد ، وما يعنيني الاسلوب اذا كان الكتاب غريباً مبتكراً ؛ ولم تنتج مصر بعده جديداً سوى «الايام» لطه حسين .

***

ومنذ سنوات كانت جماعة المجددين المصريين تبرق وترعد بمحاسن المدنية الغربية وأفضليتها وسوء ورذالة الحضارة الشرقية . ولما أراد الله رفع الستار عن مساوي الاولى وظهر فلسها بعد الحرب فبرز كتاب أوربيون عظام للتنديد بها وتفضيل الحضارة الشرقية في عدة نواح وخصوصا الروحية منها أخذت هذه الجماعة نفسها في تمجيدها تقليداً لهؤلاء لا عن عقيدة ، وهذا حد التقليد !

اني لا انكر على هؤلاء الكتاب حملتهم على التقليد وانما انكر عليهم اولا سعيهم في ابدال المقلد بدون كبير فائدة وثانياً انهم بدلا من أن يشتغلو في ابتكار جديد والعمل على الانتاج الصحيح يضيعون وقتهم في الصخب.

أما خلق أدب مصري أو قومي فهو « مودة » بالية قديمة بالنسبة لمن يتخذ لقب مجدد ، على أن الادب الجميل جميل في كل محل وتحت كل شمس وقمر ، و (الف ليلة وليلة) حجة لذلك .

وأما كون عدم وجود الرواية والقصة هو سبب فقر وتأخر أدبنا العربي فهذا غلط ، فلربما جاء فكر عربي عند نضوجه بشيء افضل من القصة والرواية ، شيء يلائم طباعنا وأدبنا ، وان كان لابد منهما فسيجيئان في وقتهما لما تنضج وتختمر الفكرة في عقول أبناء العربية ، ولا يكفي قولنا لهما كونا فيكونان ، لان النبوغ يتدفق من تلقاء نفسه ولا يستخرج ، وكذلك تقسيم الادب العربي على النمط الغربي وله تقسيمه الذي لا يحتاج الا الى اصلاح وضبط . ويكفي مثلا لفساد تطبيق أقسام التاريخ الاوربي على التاريخ العربي الاسلامي اني كنت أقرأ اخيراً كتابا عن تاريخ الاسلام والعرب لكاتب مجدد جرى فيه على الاسلوب الغربي في التقسيم وجاء فيه : « ... وقد كان آباءنا يتخبطون في بحر الجهل والتعصب طيلة القرون الوسطى ... » والكل يعلم أن القرون الوسطى في التاريخ العربي هي أزهر عصر المدنية الاسلامية العربية .

وأرجو لمصر أن تخرج من هذا المخاض بخير وعافية بفضل ما بقي صالحاً سالماً من أبناءها الكرام وان يسفر هذا المخاض عن انتاج صحيح مبتكر وان لا تكتفي جماعة المجددين بابدال وتجديد المقلد فحسب . محمد حصار

— يسرنا بنوع خاص ان يتنبه من الآن شباب المغرب الى ما في الحركة االتجديدية التي يشير اليها الكاتب اللبيب من الخروج عن الثقافة العربية وسوء المغبة في ذلك ، ولا نشك في انها حركة زائلة ، ومن المعلوم انه لا يقصد الا المجددين والا فمنزلة مصر على رأس العالم الاسلامي في هذا العصر امر لا ينكره حتى صاحب المقال .